سير الزمان

شهر من التاريخ

زوال نابليون وسلوفاكيا

استرداد منطقة ميجل

سيادة البرلمان للنمسا

الشيوعية البولندية تزعم

التقلب في سياسة بريطانيا الخارجية

احتلال اليابان

شهر من التاريخ

١٥ مارس — ١٥ ابريل ١٩٣٩

— ١ —

زوال تشيكوسلوفاكيا

بينما الحوادث تجري الى نهايتها المحتومة في اسبانيا [1] على الرغم من التتابع بين قوات مجلس الدفاع في اسبانيا المتوسطة وفريق الشيوعيين فيها (في اواخر فبراير واوائل مارس)، وبينما قداسة البابا بيوس الثاني عشر يتوج [2] في الفاتيكان متخذاً « العدل اساس السلام » شعاراً لعهده، كانت الريح تهب في اوربا الوسطى، ثم ما بثت ان تحولت عاصفة هوجاء اضطربت لها مياه النهر — نهر الحوادث الدولية — واصطخبت، فطغت حوادث تشيكوسلوفاكيا وما يتعلق بها على كل ما عداها، فصار حتماً علينا ان نخص الحديث بها، لأنها تحتل مكان الصدر في تطور الحوادث الدولية، في كل الفترة المنقضية منذ اتفاق مونيخ في آخر شهر سبتمبر سنة ١٩٣٨ الى اواسط مارس ١٩٣٩

وقد بدأت جوادث تشيكوسلوفاكيا في ولاية سلوفاكيا، يوم ١٠ مارس سنة ١٩٣٩ اذ ارتفعت في مدينة براتيسلافا عاصمة سلوفاكيا صيحة الانفصال مقرونة بصيحة التحية للهر هتلر. وسلوفاكيا على ما تعلم جزء من تشيكوسلوفاكيا واقع في النصف الشرقي منها، يفصل بينها وبين المانيا ولايتا مورافيا وبوهيميا، وتقع الى الشرق منها ولاية روتينيا المعروفة باوقرانيا الكرباتية. اي اذا شبهنا دولة تشيكوسلوفاكيا — او ماكان دولة تشيكوسلوفاكيا — بسمكة ممتدة في اوربا الوسطى رأسها الى جهة المانيا وذيلها الى جهة روسيا، وجدنا فيها خمس مناطق اولاها منطقة السوديت — وقد كانت تحف برأس السمكة كالحاشية وهذه ضمت الى المانيا وفقاً لاتفاق مونيخ الذي عقد في آخر سبتمبر من السنة الماضية — ثم يلي ذلك ولاية بوهيميا وفيها العاصمة براج فولاية مورافيا، فولاية سلوفاكيا فولاية روتينيا او اوقرانيا الكرباتية، وهي في الذيل

ففي الاسبوع الثاني من شهر مارس الماضي، حفلت الصحف بانباء حالة مضطربة تسود ولاية سلوفاكيا هذه، ولا سيما علاقاتها بحكومة براج. حتى لقد ذهبت بعض البرقيات الى القول باحتمال نشوب حرب اهلية في الدولة التشيكوسلوفاكية المذكورة، وكان سبب الخلاف، بين

(١) في ٢٧ فبراير بين المستر تشمبرلين في مجلس النواب البريطاني البراءة التي حاصل الاعتراف بحكومة الجنرال فرانكو (٢) أنتخب يوم ٢ مارس وتوج يوم ١٢ مارس ١٩٣٩

براتيسلافا عاصمة سلوفاكيا . وبرأج عاصمة الدولة التشيكوسلوفاكية ، ان فريقاً من متطرفي السلوفاك يريدون الانفصال التام عن الدولة التشيكوسلوفاكية . بل زعمت بعض دوائر براج نفسها انه كشفت مؤامرة مدبَّرة لاحداث هذا القصد

ولا يخفى ان حديث الانفصال والاستقلال التام في سلوفاكيا ، سيفقد ان منحت سلوفاكيا على اثر مؤتمر مونيخ ، وعقد تشيكوسلوفاكيا بضم مناطق السوديت الى المانيا ، استقلالاً ذاتياً على ان تبقى جزءاً من دولة متحدة (فدرالية) هي دولة تشيكوسلوفاكيا التي عاصمتها الاتحادية مدينة براج

فما ان قامت حركة الانفصال الاخيرة في ولاية سلوفاكيا ، حتى عالجتها حكومة براج بالحزم فأقالت المنسيور تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية ، واصدر السير هاخا رئيس الدولة التشيكوسلوفاكية مرسوماً بتأجيل اجتماع البرلمان السلوفاكي ، وعينت وزارة جديدة واتخذت القوات الحكومية تدابير حازمة لحفظ الامن . وصرحت حكومة براج ان كل ما يهمها في الامر هو الاحتفاظ بوحدة الدولة ، وانها مستعدة لتوسيع نطاق الاستقلال الذاتي لسلوفاكيا الى اقصى حد يتفق ووحدة الدولة

وقد صحب حوادث سلوفاكيا ، حملة عنيفة في الصحافة الالمانية على التشيك فقد جاء في البرقيات العامة والخاصة التي نشرت عندنا صباح الثلاثاء (١٤ مارس) ان جميع الصحف الالمانية نشرت في صفحاتها الاولى تحت عنوانات ضخمة ان حالة الاقليات الالمانية في تشيكوسلوفاكيا تزداد خطورة ساعة بعد ساعة على اثر الحوادث الاخيرة وان التشيك يشنون ارهاباً وحشياً ، ويهاجمون الالمان بتشفي القسوة . وقالت جريدة فولكيشر بوباخر ان الحالة اصبحت لا تطاق في براتيسلافا وان التشيك غير قادرين على تأليف حكومة سلوفاكية توافق رغبتهم لعداء الاهالي لهم

ثم جاءت الانباء بأن السلوفاك استجاروا بالمانيا ، وان المنسيور تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية المقال ارسل مذكرة الى الهر هتلر يبين فيها عدم شرعية تأليف الوزارة التي تلت وزارته ، وكانت الانباء الاولى التي وردت عن موقف المانيا من هذه الحوادث ، ومن استجارة السلوفاك بها ، ان المانيا انكرت تدخلها في الاضطراب التشيكوسلوفاكي تدخلاً عسكرياً او سياسياً ، بل قيل ان السلطات والدوائر الالمانية واقفة بين نزعتين . ففي صحفها عطف بادٍ على السلوفاك وطلباتهم ، تدل عليه العنوانات والاقوال المنشورة . وفي دوائرها حذر من تأييد السلوفاك تأييداً رسمياً لئلا تثير حكومات البلدان المجاورة كبولندة وهنغاريا ويوجوسلافيا ، لأن عملاً من هذا القبيل يعدّ تشجيعاً للشعوب المحكومة والاقليات المختلفة التي في هذه الدول وما اكثرها

وعند ما بلغت الحالة هذا الحدّ ، اخذت الحوادث تتوالى بسرعة تخطف البصر ، حتى بتنا نترقب البرقيات الواردة من اوربا ساعة بعد ساعة لنعلم كيف تطورت الحالة واي حدّ بلغت

وصارت الحوادث الجديدة تلغي ما سبقها وتنقض ما قيل فيها . ففي البدء كان الموضوع موضوع استقلال سلوفاكيا استقلالاً تامًّا وانفصالها عن الدولة التشيكوسلوفاكية ، على ان تشملها المانيا برعايتها ، ثم أذاعت الصحف في صباح الاربعاء (١٥ مارس) في نصوص البرقيات التي وردتها في اليوم السابق الى منتصف الليل ان المونسنيور تيسو رئيس الوزارة السلوفاكية التقى ذهب الى برلين ، وان البرلمان السلوفاكي الذي كان المسيو هاخا رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية قد أجّل اجتماعهُ ، اجتمع فعلاً واعلن استقلال سلوفاكيا . فتقطعت بذلك اوصال تشيكوسلوفاكيا كدولة متحدة ، وتألفت وزارة جديدة برئاسة المونسنيور تيسو خلفت الوزارة التي ألفتها حكومة براج ، فطلبت الوزارة الجديدة حماية المانيا

وما لبثنا بعد ذلك حتى قرأنا ان أوكرانيا الكرباتية قد أعلنت استقلالها كذلك وتولى الوزارة الجديدة فيها ، المسيو فولوسين ، وبعد توليه الحكم أرسل برتين الى الهر هتلر والمسيو موسوليني يطلب النجدة ومساعدتهُ على حماية الدولة الأوكرانية التي أعلن استقلالها

عند ذلك رأت الوزارة التشيكوسلوفاكية ان ترفع استقالتها الى المسيو هاخا ، وتلا ذلك ان سافر المسيو هاخا يصحبهُ المسيو شفالكوفسكي وزير الخارجية الى برلين لمقابلة الهر هتلر والهر فون ريبنتروب ، واذ كانا في طريقهما الى برلين ، وفي أثناء الاجتماعات التي حضراها كانت الجيوش الالمانية قد استعدت للزحف على بوهيميا وموراڤيا فزحفت عند صدور الامر ولم تلق مقاومة ، فدخلت براج ، وأعلن زوال الدولة التشيكوسلوفاكية من الخارطة الأوربية ، بعد انقضاء عشرين سنة على قيامها من الكيان المستقل . ويقال ان المسيو هاخا والمسيو شفالكوفسكي أكدا في خلال الاجتماعات التي حضراها في برلين ان الغاية التي ترمي اليها جميع الجهود هي ضمان السكينة والنظام والسلام في هذا القسم من اوربا الوسطى وصرّح المسيو هاخا بأنهُ يضع مصير الشعب التشيكي والبلاد التشيكية بكل ثقة بين يدي زعيم الريخ خدمة لهذا الغرض وتحقيقاً لهُ . فقبل الهر هتلر التصريح وقرّر وضع الشعب التشيكي تحت حماية الريخ

[ثم علم ان المسيو هاخا تعرّض في برلين لمثل ما تعرّض لهُ الدكتور شوشنج في برختسجادن قبل ضم النمسا الى المانيا ، من حملة قوية وتهديد صريح وانهُ سقط اعياء فلما أفاق وقع الوثيقة المعروضة عليه .]

وحدث في أثناء ذلك ان أرسلت حكومة بودابست ، انذاراً الى حكومة براج ، مداهُ اثنتا عشرة ساعة . فلما جاءها الرد لم تقابله بالارتياح ، فقرّرت الحكومة الهنغارية التدخل في

أوقرانيا الكرباتية فاجتازت قواتها الحدود صباح الاربعاء ١٥ مارس . وفي احدى برقيات هذا الصباح (١٦ مارس) ان القوات المجرية توغلت في كل انحاء أوقرانيا الكرباتية بدون مقاومة تقريباً وينتظر ان تقتضي من احتلالها والوصول الى الحدود البولندية في الساعة الرابعة بعد الظهر (أي بعد ظهر اليوم لان البرقية المشار اليها صادرة من بودابست في ١٥ مارس أي أمس)

وكذلك ما كادت تنقضي سنة كاملة على ضمّ النمسا الى الريخ الاكبر، حتى ضمت اليه الولايات الثلاث الكبرى من تشيكوسلوفاكيا وهي بوهيميا وموراڤيا وسلوفاكيا والفرق بين الحادثين ان النمسويين المان حالة ان سكان تشيكوسلوفاكيا — وهم يشملون التشيك والسلوفاك والروتينيين — يبلغون نحو عشرة ملايين وهم من العنصر السلافي وليس في البلاد التي يتقطونها بعد ضمّ المان السوديت الاّ أقلية المانية صغيرة . أما أوقرانيا الكرباتية فقد ضمّت الى هنغاريا وعلى ذلك فكل خارطة جديدة لأوربا يجب ان ترسم بحيث تكون بوهيميا وموراڤيا وحتى سلوفاكيا أجزاء من الريخ الاكبر

كان الكتّاب الى عهد قريب يختلفون في وصف الجمهورية التشيكوسلوفاكية. فبعضهم وصفها بقوله، أنها جزيرة دمقراطية في وسط محيط دكتاتوري . وبعضهم قال انها منارة للحرية في أوربا الشرقية والمتوسطة . وبعضهم وصفها بأنها سدّ قائم في وجه التوسع الالماني في شرق أوربا وشرقها الجنوبي . وقد ظلت كذلك حتى اتفاق موينخ . وعندئذ ظهر التصدع في ذلك السدّ . والآن قد تمّ انهياره ، فغدا السدّ قنطرة للعبور

القاهرة : ١٦ مارس ١٩٣٩

— ٢ —

امستردام ومنطقة ميمل

من أهم الحوادث التي وقعت في النصف الاخير من الأسبوع الماضي (الذي نهايته يوم ٢٥ مارس) ضمّ منطقة ميمل الى المانيا . وهذا الضمّ يصحح خطأ من الاخطاء الكثيرة التي انطوت عليها معاهدات الصلح. فمدينة ميمل مدينة ألمانية شعباً ولغة وتاريخاً . أنشأها فريق من الفرسان الالمان في منتصف القرن الثالث عشر ، وكانت دائماً في حوزة المانيا ، لم تقع دولة اخرى ، الاّ دولة لتوانيا ، بعد عقد معاهدات الصلح ، وحينئذٍ دخلت في حوزة لتوانيا قوة واقتداراً . ثم ان اكثرية شعبها المان ، واللغة الالمانية لغتهم ، اما اللتوانيو الاصل منهم فيتكلمون اللغة الالمانية كذلك

وأين تقع ميمل ؟ تصور الجانب الشرقي الشمالي من اوربا ، الواقع على ساحل بحر بلطيق تجد بروسيا الشرقية والى الشرق منها منطقة ميمل محاذية لها وواقعة بينها وبين جمهورية لتوانيا وقد تزعت مدينة ميمل والمنطقة المحيطة بها من المانيا ، لتكون منفذاً على البحر لجمهورية

لتوانيا ، اي لتكون لتوانيا في منزلة مدينة دانتزج لبولندة . وكان الرأي اولاً ان تكون مدينة حرة لها حكومتها الخاصة ، وان تتصل بلتوانيا برابط اقتصادية . واذ كان الحلفاء ينظرون في مختلف المسائل المعروضة عليهم ، هاجم احد القواد البولنديين مدينة فلنا اللتوانية ، واحتلها سنة ١٩٢٠ فلاذ اللتوانيون حولهم فوجدوا ميمل ، فثاروا لفقدها باحتلال ميمل ، فعرف الحلفاء بالامر الواقع ولكن انشىء مجلس دولي لادارة مرفأ ميمل . ومنذ قام النظام النازي في المانيا ، تحول فريق كبير من اهالي ميمل نازيين بزعامة الدكتور نومان وهو طبيب يساري وجعلوا يطالبون بحقوق معينة وبالعودة الى احضان امهم الالمانية ، ويقال ان الحكومة اللتوانية اشتدت في معاملتهم منذ اشتدوا في مطالبهم ، فلما كانت حوادث تشيكوسلوفاكيا وضم منطقتي بوهيميا ومورافيا الى الريخ ووضع منطقة سلوفاكيا تحت حمايته ، انذرت حكومة لتوانيا بوجوب التخلي عن منطقة ميمل واعطيت مهلة خمسة ايام فسلمت بما طلب منها بغير ان تستشير دولة من الدول ، ودخل الفوهرر ميمل عن طريق البحر داهباً اليها في سفينة حربية تفادياً من اجتياز الرواق البولندي في قطار مقفل الوافد ، واعلن ضمها . وبذلك تم عمل يعيد الأمر في هذه المنطقة الى نصابه الطبيعي

زيارة المسيو لبران للدنكلتر

المسيو لبران رئيس جمهورية فرنسا منذ سبع سنوات ، ذهب في ٢١ مارس في زيارة رسمية الى لندن رداً لزيارة الرسمية التي قام بها الملك جورج السادس والملكة اليزابث لفرنسا في خلال الصيف الماضي . الزيارة كانت رسمية كما قلنا ، ولو انها جاءت في اوقات عادية غير الاوقات العصيبة التي تجتازها اوربا الآن ، لما كان لها من الشأن الخاص اكثر مما يكون لهذه الزيارات عادة . ولكنها جاءت بعد حادث مسح تشيكوسلوفاكيا من الخارطة الاوربية فكانت الحفاوة البالغة التي قوبل بها رئيس الدولة الفرنسية في بريطانيا معززاً جديداً لما بين بريطانيا وفرنسا من آصرة ترتد الى وضعهما الجغرافي الذي تبع منهُ وتستند اليهِ قواعد السياسة الخارجية في كل بلد من بلاد العالم

ومما هو جدير بالذكر ان وزارة الخارجية البريطانية وضعت مذكرة سرية فاز بها ونشرها في سنة ١٩٢٥ رجل يدعى بولدرستن . وقد كانت هذه المذكرة تنطوي على ما يراهُ رجال وزارة الخارجية لازماً لضمان السلامة البريطانية وفي مقدمة هذه القواعد ان لا يتاح لدولة واحدة الاستيلاء والسيطرة على بحر المانش ومرافىء البحر الشمالي وانهُ يجب على الحكومة البريطانية ان تجتنب عداء فرنسا وبلجيكا وهولندة — ومن ورائها الدنمارك والمانيا — أو أية كتلة منها

لأنها تملك هذه المرافىء . وثالثاً يجب ألاّ يسمح لأية دولة محاربة فرنسا أو بلجيكا بغزو هذه المناطق وإقلاق الحالة الراهنة فيها مما يعرّض بريطانيا للغزو الجوي . ولذلك تقتضي شؤون الدفاع الامبراطوري التفاهم مع فرنسا وبلجيكا . وهذا يقتضي من بريطانيا ضمان سلامة هذه الأراضي وعدم وقوعها في أيدي دول أخرى

هذا الموجز اليسير لتلك المذكرة الخطيرة يبين ما بين فرنسا وبريطانيا من آصرة ترتدّ الى الوضع الجغرافي ، والمستنبطات الحديثة في فن الطيران الحربي . وسياسة كلٍّ من فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالمية ، تشهد — على الرغم مما شجر بينهما من الخلافات — بأن هذه القاعدة لم تنسَ في أحد البلدين ، بل انها عززت بمختلف التصريحات ، وأشهرها تصريحات ايدن ودلبوس من نحو سنتين ، وتصريحات تشمبرلين وبونيه من نحو شهرين

ومن أظهر مظاهر الحفاوة التي استقبل بها المسيو لبران في لندن ، استقباله في قصر وستمنستر ودار البرلمان التاريخية ، وهذه هي المرة الاولى التي يستقبل فيها رئيس دولة اجنبية في هذا القصر ، والغالب ان مغزى الاستقبال الرمز الى تمسك الدولتين بالاوضاع الديمقراطية في بلادها ، لانها في اعتبار الشعبين صفوة التراث الذي فازت به الكرامة الانسانية بعد نضال طويل خلال عصور التاريخ . ومما تحسن الاشارة اليه ان اللغة الاولى التي استعملت في هذه الدار التاريخية ، كانت اللغة الفرنسية وذلك على أثر الفتح النورمندي لانكلترا في القرن الحادي عشر

وعلى الرغم من ان الزيارة كانت رسمية ، فانها أتاحت للمسيو بونيه وزير خارجية فرنسا ، الذي صحب رئيس الجمهورية ان يتصل بأقطاب انكلترا في خلالها ويتداول معهم في تطور الحالة الدولية . ويقال ان من احاديثه هذه ما اثار مشكلة في انكلترا يبعث موضوع التجنيد الالزامي من مرقده وما يقال عن انقسام الرأي حياله

[وبعيد عودة المسيو لبران من زيارته الرسمية لانكلترا جدّد انتخابهُ لرآسة الجمهورية في ٥ ابريل]

المشكلة الايرلندية ترتسم

في اوائل هذا الاسبوع بدأت ترتسم في افق السياسة الدولية الاوربية خطوط مشكلة جديدة من القدر الاول . وهذه الخطوط تزداد وضوحاً كل يوم . فعني بذلك مشكلة بولندة ازاء الريخ الثالث

كانت الانباء قد وردت في اواخر الاسبوع الماضي ان بولندا قد أبت الانضمام الى التصريح المشترك الذي اريد اصداره باسم فريق من الدول هزتهُ حوادث تشيكوسلوفاكيا . وهذا الرفض

من جانب بولندة معقول . لانها واقعة على حدود الريخ الشرقية . وبجازها المشهور يفصل جسم الريخ عن روسيا الشرقية وفيها القلية الالمانية غير يسيرة . حالة ان المانيا آخذة في التوسع شرقاً . فاذا وقفت بولندة موقفاً تتمم منهُ رائحة العداء ، فقد يكفي ذلك عذراً لاثارة مشكلات تبعث على القلق حقًّا

ثم جاءت انباء مستفيضة في صباح الثلاثاء (٢٨ مارس) عن مطالب المانية من بولندة خاصة بمدينة دانتزج والمجاز البولندي . نعم ان ما قيل عن ارسال يواخيم فون ريبنتروپ الماني من برلين الى وارسو كذب ولكن جاء بعد ذلك ان هناك اضطرابات في بولندة وان الصحف الالمانية تقول ان الاقلية الالمانية في بولندة ساءها البغاء ، وان الامر كاد يفلت من يد ولاة الامر او انهُ افلت فعلاً وفي هذه الاقوال شيء من نواحي من موقف بولندة مطروحة على بساط البحث في برلين . بل ان برقيات مساء الاربعاء (٢٩ مارس) تعترف بأنهُ نشأت في برلين مشكلة تعرف باسم « المشكلة البولندية »

وسبب ذلك انهُ لما اذعنت دولة بولندة على اثر انتهاء الحرب الكبرى — وهي دولة سكانها يربون على الثلاثين مليوناً — رؤي ان يكون لها منفذ على البحر . فأعطيت منطقة تخترق المانيا الى ساحل بحر البلطيق ، وتشمل مدينة دانتزج المشهورة . واطلق على هذه المنطقة اسم المجاز او الممر البولندي . هذه المنطقة تخترق المانيا وتفصل روسيا الشرقية عن جسم الريخ فلا اتصال بين المانيا وروسيا الشرقية الا عن طريق البحر والا عن طريق سكك الحديد التي تجتاز المجاز البولندي وفقاً لقواعد اتفاق خاص

اما دانتزج فقد جعلت مدينة حرة لها حكومتها المحلية ولكنها جعلت جزءاً من النظام الاقتصادي البولندي بحسب معاهدة عقدت بين المدينة والدولة . وعلاوة على هذا وذاك منحت بولندة منطقة كبيرة من ولاية سيليزيا ، على اثر استفتاء غير حاسم ، وهذه المنطقة غنية بالمناجم والصناعات

اما الآن وقد ضمت النمسا وبوهيميا ومورافيا ومنطقة ميمل الى الريخ ودخلت سلوفاكيا في حمايته واستشعر قوتهُ العظيمة وصولتهُ التي تحاذر فلا يعدان يطالب بضم مدينة دانتزج وبحقوق في المجاز البولندي تضمن لهُ الاتصال المباشر بروسيا الشرقية . وقد جاء في البرقيات ان الريخ في حاجة الى مثل هذا الضمان حتى يتمكن من ارسال المدد الى بروسيا الشرقية ، المنفصلة عنهُ بالمجاز المذكور ، في حالة استهدافها لاعتداء من الشرق . ولمشكلة بولندة ناحية اخرى تتصل بما يقال عن النية على انشاء دولة اوقرانية مستقلة تحت حماية الريخ ، ولكن المجال لا يتسع لتفصيل ذلك وهي على كل حال ليست من النواحي التي تقتضي المعالجة السريعة الآن

القاهرة : ٣٠ مارس ١٩٣٩

— ١ —

التقارب في سياسة بريطانيا الخارجية

في بحار الارض نوعان من التموجات ، النوع الاول يشمل التموجات السطحية من تجعد صفحة الماء بهبوب النسيم الى الأمواج الكبيرة بهبوب الرياح . ولكن هذه التموجات قلما تتعدّى عمقاً معيناً من سطح الماء . والنوع الثاني يشمل التيارات العميقة القوية التي تسير في الأغوار . وكذلك بحار السياسة . تهبُّ عواصفها فتثير أمواجاً على السطح تتلاشى خفاً ثم تسكن المواصف فتهدأ الامواج . ولكن التيارات السياسية القوية تسير في ما دون السطح ، وتتصل بطبائع الأمم وتربيتها ومثلها السياسية والاجتماعية وموقعها الجغرافي . فتبيّن هذه التيارات لازم لفهم اتجاهات السياسة الأصيلة ، لأن الحكم بالاعتماد على الحوادث المنفردة ، والامواج السطحية قد يفضي بنا الى الخطإ

وقد حدث في الأسبوع الماضي (٧ — ١٣ ابريل) حادثان ، اذا أخذا بحدّ ذاتهما كان لهما بعض الشأن ، ولكن اذا أخذا على أنهما دليلان على تيارين عميقين او اتجاهين أصيلين في شؤون الأمم وسياساتها ، برز ما لهما من المقام واتضح ما يعلق بهما من خطر الشأن

وقد حدث الحادثان في يوم واحد . نعني يوم الجمعة الماضي (٧ ابريل) . أما الحادث الاول فانتهاء زيارة الكولونيل بك وزير خارجية بولندة لانكلترا . وأما الثاني فتجمع القوات الايطالية أمام ساحل البانيا وضربها ثغوره ونزولها في احدها

فالحادث الاول اذا أخذ على حدة ، كان كالتجعد اللطيف على سطح الماء يحدثهُ نسيم عليل. ذلك ان رجال السياسة جروا في هذا العهد على وجهٍ خاص ، على الزاور للاتصال الشخصي ، لان مقابلة واحدة بين وزيرين مسؤولين ، قد تغني عن مفاوضات طويلة . ولكن رحلة الكولونيل بك الى انكلترا ، جاءت على أثر تصريح خطير الشأن أدلى به المستر نفيل تشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية ، فتقرّر فيه قاعدة في سياسة بريطانيا الخارجية ، طالما امتنع الساسة الانكليز عن الاخذ بها . ذلك أنهُ لما بدا في الأفق الدولي ، ان بولندة قد تتعرّض من جهة جارتها الغربية الكبيرة — أي ألمانيا — لضغط قد يؤثر في استقلالها صرّح المستر تشمبرلين بأن الحكومة البريطانية تتعهد بنجدة بولندة اذا تعرضت لعدوان . ونصُّ التصريح الذي ألقاه المستر تشمبرلين في هذا الموضوع كما يلي :

« يعلم المجلس ان هناك مشاورات دائرة الآن مع حكومات أخرى . ولكي أوضح موقف حكومة جلالة الملك على أوفى وجه ، في خلال ذلك ، عليَّ أن أنبيء المجلس بأنهُ اذا حدث

في خلال هذه المدة ، عمل ما من شأنه تهديد استقلال بولندة تهديداً تحسبهُ الحكومة البولندية ان مصالحها الحيوية تقضي بمقاومته بقواتها الوطنية ، فحكومة جلالة الملك تشعر حقاً عليها ان تمد الحكومة البولندية فوراً بكل التأييد الذي في مستطاعها . وقد أعطت الحكومة (اي البريطانية) حكومة بولندة تأكيداً بهذا المعنى . وأضيف الى ما تقدم ان حكومة فرنسا أذنت لي في ان اصرّح بأنها تقف نفس الموقف الذي تتخذه حكومة جلالة الملك»

ما مغزى هذا التصريح الخطير ؟

مغزاه انهُ خالف مبدأ من المبادىء العريقة في سياسة بريطانيا الخارجية . بل اضاف اليها مبدأً جديداً . ذلك ان السياسة الخارجية البريطانية امتنعت قبل نشوب الحرب الكبرى عن ان تقطع عهداً حاسماً كهذا العهد الذي قطعتهُ الآن ، من حيث صلتها بفرنسا جارتها المتصلة بها بحكم الوضع الجغرافي . ثم انها امتنعت عن قطعه بعد انتهاء الحرب الكبرى الى عهد قريب . فمع ان انكلترا عنيت بعد الحرب الكبرى ، بما يضمن السلامة والاستقرار في غرب اوربا . واكبر مظاهر هذه العناية الضمان المشترك للحدود الالمانية الفرنسية والالمانية البلجيكية المنطوي في معاهدة لوكارنو المعقودة سنة ١٩٢٥ . ثم في تصريح بلدوين بأن حدود بريطانيا على نهر الرين. فلما نقضت معاهدة لوكارنو صرّح المستر ايدن اولاً ثم المستر تشمبرلين من أشهر بأن الدفاع عن فرنسا وبلجيكا اذا كانتا هدفاً لاعتداء غير مستفزّ ، من القواعد الاساسية التي تقوم عليها سياسة بريطانيا الخارجية . وهذه القاعدة ، متصلة بالوضع الجغرافي في تلك الرقعة من اوربا ، والوضع الجغرافي اصل تنبع منهُ وتستند اليه السياسة الخارجية

اما في شرق اوربا ووسطها ، فان بريطانيا ابت ، على اهتمامها بشؤونها ، ان توسع نطاق التزاماتها هناك بالاشتراك في اي ميثاق يعقد فيها او بضمان اي ميثاق من هذا القبيل . وما زلنا نذكر انهُ لما سعت فرنسا الى انشاء ميثاق خاص بشرق اوربا على نمط ميثاق لوكارنو الخاص بغرب اوربا ، باركت الحكومة البريطانية المسعى ، ولكنها ابت الاشتراك فيه او ضمانهُ . فلما كانت ازمة تشيكوسلوفاكيا في خريف السنة الماضية كان اهتمام بريطانيا بها تاماً ، من حيث مغزاها الاوسع ، وعاقبتها البعيدة ، ولكنها لم تكن مقيدة شأن فرنسا بنجدة الحكومة التشيكوسلوفاكية اذا اعتدي عليها ، علاوة على كونها كانت ترى بعض الحق في مطالبة المانيا بضمّ ألمان السوديت في نطاق الريخ الاكبر . ثم ان بريطانيا اقترحت قبل اتفاق موينخ وبعيدهُ ، ان تضمن مع غيرها من الدول سلامة تشيكوسلوفاكيا الجديدة ، ولكن هذا الضمان كان مشروطاً وشروطهُ لم تتحقق ، فلم يكن تنفيذ الضمان حتماً على لندن في مارس الماضي

اما الآن ، فالتصريح الذي القاهُ المستر تشمبرلين بخصوص سلامة بولندة واستقلالها ، يعني ان عهد «العزلة الباهرة» قد انقضى . وللمرة الاولى عنيت بريطانيا مقدماً ما تفعل في حالة كذا وأخذت

على ما تقول جهوداً عسكرية في شرق اوربا . وكذلك امتدت حدودها من نهر اترين ، الى منتصف نهر الفستولا . والغريب في هذا كله ، في هذا الانقلاب التام ، انهُ فاز بتأييد اجماعي من الشعب الانكليزي والامبراطورية البريطانية ، والاحزاب والصحف على السواء . ويقول مؤرخو العظماء السياسيون ، انهُ من النادر ان نرى في تاريخ الكفاح في اثناء السلام ، اجماعاً ووحدة ، على انحراف خطير في السياسة الخارجية ، كالاجماع والوحدة اللذين قوبل بهما هذا الانحراف

فكيف نفسّر ذلك ؟ ان الجواب في رأينا يرتدُّ الى نفسية الشعب البريطاني وتقاليده . فهو شعب متأثر بتقاليد ابتعاده عن اوربا — لان الفاصل بينهما بحرٌ — وذلك قبل اختراع الطائرات الحربية ، وشدة الاعتماد على الاسطول البريطاني في الدفاع . وهذا الابتعاد هو ما يطلق عليه في تاريخ بريطانيا السياسي ، اسم « العزلة الباهرة » او « المجيدة » Splendid isolation ثم ان الجمهور البريطاني كان يعتقد ان في معاهدات الصلح نواحي شديدة الجور على المانيا يجب ان تصحّح . ويضاف الى هذا انهُ من اشق الامور ان نفهم شعباً كبيراً متأثراً بتقاليد العزلة ، مدى العواقب التي يسفر عنها عملٌ معيَّن في بلد بعيد كتشيكوسلوفاكيا اذا وقع ضمن نطاق النفوذ الالماني . لذلك كان اتفاق مونيخ ، وبتر تشيكوسلوفاكيا بضمّ مناطق السوديت الى المانيا . ولكن لما حدثت حوادث تشيكوسلوفاكيا الاخيرة في منتصف مارس الماضي ، وبدت في الجوّ نذرٌ تدل على ارتسام مشكلة بولندية ثانية في الافق الدولي ، تغير الموقف . فالشعب البريطاني مشهور في تاريخه ، بأن المسائل التي لها مغزى ادبي تستثيرهُ ، وكأنهُ يحسّ بالأدبي يدرك مغزاها ، ولو كان لا يفهم نواحيها التي تتعلّق ببلدان لا يعرفها معرفة حية ، ولا يقدر قيمتها كحجر من الاحجار المتنقلة على رقعة الشطرنج . والمسألة كما تبدو لهذا الشعب الآن ، على ما تبسطها صحفهُ المسؤولة ، وبقلم كاتب كان يدعو الى التعاون مع المانيا وايطاليا عندما كانت هذه الدعوة غير محبَّبة ، هي هذه : — « ان السلام على الارض غير منفصل عن الحرية الانسانية . فالتهديد الموجّه الى هذا التراث الانساني ، تحدٍّ ، والتحدي يجب ان يقبل ، وقد قبل ». والامل الوحيد الباقي ان يكون في ايضاح الموقف ما يدعو الى التريث . فقد وُجّه اللوم الى بريطانيا لانها لم توضح موقفها في سنة ١٩١٤ وقيل انهُ لو عمدت الى توضيحه لكان هناك امل في اجتناب تلك الكارثة

هذا هو التصريح من حيث مغازيه ومراميه البعيدة . وقد كان عند القائه موفقاً ، فلما جاء الكولونيل بك الى لندن دارت المفاوضات على اساسه بقصد تحويله من تصريح موقت صادر من جانب واحد الى تصريح متبادل ابوابه مفتوحة لدخول الدول التي ترى فيه ضماناً دفاعيًّا لاستقلالها ويلوح مما نشرته الصحف ان المرمى قد اصيب

وقد نقلت الينا البرقيات العامة — ونحن نكتب هذه السطور مساء الاربعاء (١٢ مارس)

وصباح اليوم (١٣ مارس) — ان سفير بولندة في برلين عاد الى عاصمة بلاده حاملاً طلبات المانيا من بولندة وهي تسوية مسألة دانتزج طبقاً لرغبة الألمان، وشق طريق للسيارات خاص بالمانيا عبر الممر البولندي وتعديلات أخرى خاصة بأراضي سيليزيا العليا ومن يجاورها من الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية. ولا نعلم مبلغ هذا من الصحة. فاذا صح فعلى الحكومة البولندية ان تقرر ما التسوية التي تتفق ومصالحها الحيوية واستقلالها، ولكنها مهما يكن من أمر فانها ستدخل المفاوضات الخاصة بهذه المطالب وهي واثقة بأنها اذا هدد استقلالها ورأت من مصلحتها الحيوية مقاومة هذا التهديد فلن تقف وحدها. هذا من ناحية زيارة الكولونيل والتصريح البريطاني، ودلالتهما على اتجاه جديد في تيار السياسة الخارجية البريطانية.

احتلال البانيا

وإذ كان الكولونيل بك يودّع مستقبليه في لندن صباح الجمعة الماضية (٧ ابريل)، كانت ايطاليا قد حشدت بوارج كبيرة بحرية وجوية وبرية على سواحل البانيا، وضربت ثغورها وأنزلت قواتها جندها في البر بعدما انكرت — على ما روي — أنها تنوي ذلك

والبانيا دولة صغيرة يعدّ أهلها مليون نسمة تلثامهم من المسلمين، وهي واقعة على الجانب الشرقي الجنوبي من ساحل البحر الادرياتيكي تحدها من الناحية البرية يوجوسلافيا وبلغاريا واليونان. وقد اعترف باستقلالها في سنة ١٩١٣ ولكن الفوضى سادتها خلال الحرب الكبرى. فلما وضعت معاهدة لندن السرية سنة ١٩١٥ وهي المعاهدة التي دخلت ايطاليا بمقتضاها غمار الحرب الكبرى الى جانب الحلفاء وعدت ايطاليا بأن تمنح مرفأ فالونا — وهو من أحسن المرافىء على ساحل البانيا — وان يعهد اليها بأن تتولى شؤون البانيا الخارجية

والواقع ان جنوداً ايطاليين كانوا فعلا محتلين البانيا ضدانها في الحرب الكبرى. إلاّ أن الجيش الايطالي لم يحتفظ بهذا الاحتلال، لما بدا في حياة ايطاليا بعيد الحرب من الاضطراب، ولمقاومة بدت من ناحية فريق من الشعب الالباني ومن اليوجوسلافيين الى الشمال. وكان اليوجوسلافيون يعتبرون وجود قوات ايطالية على الساحل الشرقي من البحر الادرياتيكي خطراً على سلامة دولتهم، لان كل سواحل دولتهم واقعة على ذلك البحر، والساحل الايطالي يناوحها من الغرب، فانسحبت الجنود الايطالية من البانيا سنة ١٩٢٠ وانتظمت الحكومة الالبانية في عصبة الامم. ولكن ذلك لم يحلّ مسألة اخرى تتعلّق بالبانيا وايطاليا. فقد زعمت ايطاليا ان الحلفاء وعدوها بالاعتراف بمكانة خاصة لها في شؤون البانيا. فلما اجتمع مؤتمر السفراء، وهو الذي خلف مجلس الحلفاء الاعلى، في شهر نوفمبر من سنة ١٩٢١ بباريس وافق على قرار خاص بهذا الموضوع جاء فيه انهُ اذا استهدف استقلال البانيا الى خطر ما، فان الحكومات البريطانية

والفرنسية والبابانية تمت بتعهدات الى حلفائها في حصة الامم ليقترحوا على العصبة ان يعهد الى ايطاليا بالمحافظة على هذا الاستقلال . والواقع ان هذا القرار لم يكن ثمة مندوحة عملياً . لانهُ اذا هدد استقلال البانيا فانذاب ان هذا التهديد يجيء من عبر البحر الادرياتيكي . ولكن ايطاليا فسرتهُ بانهُ اعترافٌ لها دون غيرها ، بان البانيا منطقة نفوذ خاصة بها ، وهذا التفسير كان مصدراً من مصادر القلق التي سادت علاقات ايطاليا بيوجوسلافيا الى عهد قريب . وبعد ذلك عقدت معاهدات بين البانيا وايطاليا وعدلت غير مرة ، ولكنها كانت على كل حال مما يمكن قدم ايطاليا في البانيا . ولايطاليا في البانيا مصالح مالية واقتصادية غير يسيرة في مقدمتها القروض التي عقدتها حكومة روما لحكومة تيرانا — ويقال انها تبلغ ٢٠٠ مليون فرنك ذهب — ثم هناك البترول الذي يستنبط من مناطق في البانيا ولاسيما منطقة برات

الا ان المصالح الحربية — الاستراتيجية — تفوق المصالح الاقتصادية والمالية شأناً . ونظرة واحدة الى خارطة البحر الادرياتيكي توضح ذلك . هذا البحر له ساحلان غربي وهو ساحل ايطاليا وشرقي وهو ساحل يوجوسلافيا في الشمال وساحل البانيا في الجنوب . والساحلان الغربي والشرقي يلتقيان عند ثغر تريسته الشهير . واذا اخذنا بتشبيه الجانب الجنوبي من شبه الجزيرة الايطالية بالقدم ، فالساحل الالباني يناوح عقب القدم الايطالية . وبين الساحلين مضيق ضيق يدعى مضيق اوترانتو لا يزيد اتساعهُ على اربعين ميلا . فاستيلاء ايطاليا على البانيا يمكنها من ايصاد هذا المضيق في وجه من تشاء ، فتغدو متحكمة او قادرة على التحكم بمصير ومصير الدول التي على ساحله — اي يوجوسلافيا

ويوجوسلافيا يهمها كل ذلك من الناحية الاستراتيجية ايضاً . لان استيلاء ايطاليا على البانيا يجعل يوجوسلافيا مطوقة بدول كبيرة تستطيع التأثير في مصيرها وكيانها السياسي — الى الشمال البانيا وايطاليا . والى الغرب البحر الادرياتيكي وهو بحيرة إيطالية . والى الجنوب البانيا الايطالية . اما الى الشرق والشرق الجنوبي ، فلها حدود مشتركة مع رومانيا وبلغاريا واليونان

وقد كان الباعث على هذه الحملة « اقرار السكينة والاستقرار والحرية في البانيا » و« حماية الايطاليين » على ما جاء في بعض البيانات الرسمية الايطالية ، وهذا لا ينهض عذراً كافياً ، ولا سيما اذا نظرنا الى ان النفوذ الايطالي كان سائداً البانيا وبقليل من المفاوضة والحزم كان في الوسع الوصول الى تحقيق ذلك . وعلى كل حال لدولة تعد مليون نفس بين شيوخ ونساء واحداث واطفال ، ما كانت تحتاج في إخضاعها الى هذه القوة الحربية العظيمة التي قوامها على ما جاء في البرقيات ١٧٠ قطعة حربية واربعمائة طائرة والألوف من الجيوش

وإذن فيجب ان يلتمس التفسير الحقيقي لذلك في نواح أخرى . هنا نجد رأيين . فأصحاب الاول يقولون ان خطة انشاء كتلة لصد الاعتداء — وهي خطة تكاد تكون في صميمها عوداً

في السلامة الاجماعية — التي سارت عليها بريطانيا على أثر حوادث تشيكوسلوفاكيا في منتصف مارس الماضي. كانت الباعث على هذه الحملة الكبيرة التي دول البلقان عن الافهام اليها. ويضيفون الى هذا ان الاستيلاء على البانيا يتيح لايطاليا ومن كان لها حليفاً قواعد بحرية وجوية ذات شأن استراتيجي عظيم للتوسع في البلقان. ثم يضيفون الى ما تقدم، انهُ كان لا بدَّ لايطاليا من ان تكسب شيئاً يوازن ويوازي بعض ما كسبتهُ شريكتها في المحور، فلا تبقى راضية بما كان حتى الآن قسمة ضيزى بينهما. وأصحاب الرأي الثاني — وهو أقلُّ ذيوعاً واضعف احتمالاً — أن إيطاليا فعلت ما فعلت ليكون لها في البلقان — وهو المنطقة التي تحسبها ميداناً طبيعيًّا لتوسعها الاقتصادي والثقافي — ما يمكنها من ان توازن به توسع شريكتها ثمة.

والمشكلة التي اثارتها الغزوة الالبانية، انما هي جزء من مشكلة اوسع نطاقاً واعظم شأناً من مشكلة بلادٍ احتلت وضمَّت، هي مشكلة توازن القوى في البحر المتوسط. فايطاليا ترى، ان البحر المتوسط حياتها. وتردُّ عنها انكلترا وفرنسا بقولها انهُ شريان حيوي في حياتهما كذلك. وانهما لم تنكرا مطلقاً في انكار حق ايطاليا في الحياة. وعلى هذا الاساس عقد اتفاق روما بين انكلترا وايطاليا في شهر ابريل من السنة الماضية، عليهِ اليوم سنة الا ثلاثة ايام. وبذلك شاعت اقوال من ايام بان غزوة البانيا وبقاء الجنود الايطاليين في اسبانيا، وما يحتمل ان ينطوي عليهِ الاتجاه الجديد في البلقان من تهديد لاستقلال بعض دوله، قد تجعل المستر تشمبرلين على نقض اتفاق روما. ولكن ايطاليا اثبتت حكومة اليونان بأن لا مطمع لها فيها. وانها محترمة استقلالها وحدودها. وأثبتت حكومة لندن ان عملها في البانيا مقتصر على البانيا دون غيرها. ولذلك ينتظر ان يلقي المستر تشمبرلين هذا المساء تصريحاً في مجلس النوَّاب البريطاني، يحدِّد فيهِ ما تنويهِ الحكومة البريطانية بالحالة الراهنة في البحر المتوسط، وهي الحالة المقصودة في اتفاق روما. وكذلك كان من المنتظر ان يلقي تصريحاً بيان ما تراهُ بريطانيا من مصلحة حيوية لها وللسلام في المحافظة على استقلال دول البلقان وقد يخص دولة اليونان بالذكر. وكان من المنتظر كذلك ان يلقي المسيو دالاديه رئيس الوزارة الفرنسية بياناً بهذا المعنى. وانهم في جميع هذه التصريحات من الجانبين السؤال «الى اي مدى يصح الاعتماد عليها والاخذ بها» [وقد القى البيانان فعلاً بعد ظهر ١٣ ابريل، وعقتضاها شمل الضمان البريطاني الفرنسي استقلال رومانيا واليونان]

وقد ختم يوم امس (١٢ ابريل) بعرض تاج البانيا على ملك ايطاليا من قبل الجمعية التأسيسية الألبانية وبأنباء من الخارج والداخل تدل على نشاط حربي عظيم استعداداً للطوارىء. ولكن الحالة لا تبعث على القنوط، ولا يزال في الميدان متسع للحكمة والعقل

القاهرة: ١٣ ابريل ١٩٣٩